

رد على رد

## وأن البنات عند العرب في الجاهلية

للدكتور علي عبد الواحد وافي

—

عقب الأستاذ عبد التمام الصمدي على مقال لي في وأد البنات عند العرب في الجاهلية<sup>(١)</sup> بكلمة<sup>(٢)</sup> ترجع خلاصتها إلى البنقط الآتية :

١ - يسألني من أين أتيت بالرأى الذى ذكرته في هذا المقال بصدد عقائد القبائل التى كانت تشد بناتها ، والموامل التى كانت تحملها على ذلك

٢ - يرى أن العرب في الجاهلية كانت تستقد أن الله خالق كل شيء ، بدليل قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم » . فكيف يصح مع هذا ما ذكرته من أنهم كانوا ينسبون خلق الكور لأنهم وخلق الإناث لله

٣ - يرى أن ليس المراد بالبنات في الآيات التى استشهدت بها الإناث من بنى الإنسان ، وإنما المراد بهن الملائكة

٤ - يرى أن آية النحل التى ذكرتها : « ويجعلون لله البنات سبحانه ولم ما يشتهون » ، لا تدل على أنهم كانوا ينسبون الكور لأنهم ، وإنما تدل على أنهم كانوا ينسبونهم لأنفسهم

٥ - يرى أن وأد البنات لم يكن للسبب الذى ذكرته ، بل كان بعضه للفقر ، وبعضه لخوف الفقر ، وبعضه لخوف السي والعار ، وأن لا مانع من أن يكون بعضه تنقيذاً لنذور كانوا يندرونها . فقد كان الرجل يحلف في الجاهلية أن ولد له كذا فلاناً لينعرن أحدهم كما فعل عبد المطلب

وردى على هذه المسائل يتلخص كذلك في البنقط الخمس الآتية :

١ - لم آت بالرأى الذى ذكرته من كتاب ، ولم أقتله عن أحد ، بل هي نظرية لي استنبطتها استنباطاً من آيات الذكر الحكيم ؛ وصرحت في مقالى أنه لم يسبقني بها أحد . فلا محل إذن لمطالبي بالرجع القى رجعت إليه بصددها

٢ - لم يكن للعرب في الجاهلية على دين واحد ، بل كانوا

فرقاً كثيرة يختلف بعضها من بعض اختلافاً كبيراً في العقائد والمبادئ ، فكان منهم من يعبد الله على ملة إبراهيم ، وكان من هؤلاء الرسول عليه الصلاة والسلام قبل بعثته وكثير من السابقين الأولين إلى الإسلام ، وكان منهم اليهود ، وهؤلاء كانوا ينتمون إلى عدة قبائل يسكن معظمها المدينة وضواحيها وشمال الحجاز ( بنو قريظة ، بنو النضير ... الخ ) وكان منهم المسيحيون ، وهؤلاء كانوا فرقاً كثيرة تنضم إلى مختلف مذاهب المسيحية المنتشرة في ذلك العصر ، وكان منهم عبدة الكواكب ، فكفانة كانت تدب للقمر وللدبران ، وبنو نخم وجرم كانوا يعبدون للمشترى ، وبنو طيء ألهاوا سهيلاً ، وبنو قيس بن عيلان توجهوا للشعري الجمانية ( وم الذين قد صفه الله عقائدهم إذ يقول عز وجل : « وأنه هورب للشعري » ) ... وهم جراً ، وكان منهم الدهريون الذين لا يؤمنون بالله وينسبون كل شيء للطبيعة : ( إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ) وكان منهم الوثنيون عباد الأصنام ، وهؤلاء كانوا فرقاً كثيرة يختلف كل فرقة منها عن غيرها اختلافاً كبيراً في نوع الأوثان ، ونظرتها إليها ، وبلغ تقديسها لها ، وعقيدتها في الله تعالى . ففريق من هؤلاء كان يعتقد بوجود الله وينسب إليه الخلق والأمر ، وما كان يعبد الأصنام إلا لتشفع له عند الله وتقربه إليه . وفي هذا الفريق جاءت الآية التى أوردتها الأستاذ وآيات أخرى كثيرة ( ألا لله الدين الخالص ، والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نهدم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ) ؛ ( وإن سألهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ... الخ ) . وفريق من الوثنيين كان ينسب الخير لأصنامهم وللشر لله تعالى . فكان الله في نظرم إله الشر أو ما يشبه الشيطان في نظرنا ، « تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً » . ولذلك كانوا ينسبون إليه ما يكرهون . وفي هؤلاء يقول الله تعالى : « ويجعلون لله ما يكرهون وتسف السنهم الكذب أن لهم الحسى » ( النحل ٦٢ ) . والقبائل التى كانت تشد بناتها كانت من هذا الفريق ، لأن الآية للسابقة جاءت في سياق الحديث عنمن كانوا يثدون البنات . وغنى عن البيان أن من ينسب لله ما يكرهه والذين من الأشياء لا يمكن أن يكون ممن يستقدون أنه تعالى خالق كل شيء . فالآية التى أوردتها الأستاذ عبد التمام والآيات الأخرى التى من نوعها تتحدث عن فريق من العرب غير الفريق الذى نحن بصدد الكلام عنه

(١) العدد للمناز من الرسالة (٣ مارس سنة ١٩٤١)

(٢) عدد (٣١ مارس سنة ١٩٤١)

فالقرآن في هذه الآيات يحدثننا عن حقيقتين لا عن حقيقة واحدة :  
إحداها ما يمتقدونه بصدد الذكور والإناث من آدميين ؛  
وثانيهما ما يمتقدونه بصدد الملائكة

٤ - وأما نسبة الذكور لأنهم أو لأنفسهم فهذا لا يهم  
كثيراً في موضوعنا ، ولا يؤثر شيئاً في النظرية التي أوردتها ؛  
لأن المهم أنهم كانوا ينسبون الإناث لله وأنهم قد كانوا  
يشبهونهم ؛ وسواء لدينا بمد ذلك أن كانوا ينسبون الذكور  
لأنفسهم أو لأنهم . على أن ما ذكرناه في المقال السابق بصدد  
الذكور تحتله آية النحل ، وخاصة لأن للضمير في الآية التي  
قبلها يرجع إلى الشركاء : « ويجعلون لما لا يملون (أي لأنهم  
التي لا علم لها لأنها جاد . اه البيضاء) نصيباً مما رزقناهم والله  
تسألن عما كنتم تفكرون ، ويجعلون لله البنات سبحانه ولم  
ما يشتهون » . فرجع الضمير في لهم إلى الشركاء المذكورين  
في الآية السابقة ليس محتملاً فحسب ، بل أرجح كثيراً في نظري  
من رجعه إلى الشركيين . لأن موضوع الحديث هو تقسيمهم  
المخلوقات بين الله وشركائهم لا بين الله وأنفسهم . ويزداد هذا  
المعنى تأييداً إذا ربطت هذه الآيات بآيات الأنعام : « وجعلوا لله  
مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً ، فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا  
لشركائنا ... » . وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم  
شركائهم ... »

ويزاد هذا المعنى تأييداً كذلك إذا لاحظنا أنهم ما كانوا  
ينسبون خلق شيء لأنفسهم ، بل كان ذلك يتردد بين الله وأنهم  
• - لا يمكن أن يكون سبب الرأد هو الفقر أو خوف  
الفقر ؛ لأن هذا النظام لم يكن معمولاً به في الطبقات الفقيرة  
وحدها ، بل كان عاماً عند الفقراء والأغنياء في العائر التي  
أخذت به ، ولو كان الفقر هو الدافع إليه لكان جميع الأولاد  
بدون تمييز بين الذكور والإناث . ولا يمكن أن يكون سببه  
خوف العار والسبي للأسباب التي ذكرتها بتفصيل في مقال  
السابق . ولا يمكن أن يكون سببه تدوراً من نوع تدور  
عبد المطلب بن هاشم لأننا بصدد قبائل كانت تشد كل بنت تولد لها  
لا بصدد حالات فردية كانت تنهر فيها بعض البنات وقاء لتدور  
سابقة .  
على عبد الوهاب راني

٣ - تفسير البنات بالملائكة لا يستقيم في معظم الآيات التي  
أوردتها في مقال السابق . فقولته تعالى : « أم اتخذ مما يخلق  
بنات وأصفاكم بالبنين » ؛ وقوله : « أفرايتم اللات والعزى ومناة  
الثلاثة الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ، تلك إذن قسمة  
ضيزى » ؛ وقوله : « فاستفهم أربك البنات ولم البنين » .  
في هذه الآيات وما إليها لا يستقيم في نظري تفسير البنات بالملائكة ،  
لأن للملائكة لا تقابل الذكور من بني آدم . فلا يصح أن يقال  
فيه من يقتصر على نسبة الملائكة لله معتقداً أنهم إناث : إنه يختص  
نفسه بالبنين من الآدميين دون بناتهم ، كما تصرح هذه الآيات (١) ،  
وإنما يقال فيه إنه ينسب لنفسه الذرعين من الآدميين - أي الذكور  
والإناث - وينسب لله الملائكة ويجعلهم من نوع الإناث لا غير  
على أن كثيراً من الآيات التي ذكرتها في المقال السابق ،  
قد جعلت وأدم للبنات مترتباً على عقيدتهم هذه « ويجعلون لله  
البنات سبحانه ولم ما يشتهون ، وإذا بشر أحدهم بالأنثى الخ »  
ولا يستقيم هذا إلا إذا كان الفرض من البنات الإناث من  
بني آدم لا الملائكة

حقاً لهم كانوا يعتقدون أن الملائكة إناث وأنهم كانوا  
ينسبونهم لله ويعتقدون أنهم أولاده ، كما يصرح بذلك كثير  
من الآيات ؛ ولكن هذا لا يتعارض مع ما ذهبنا إليه من أنهم  
كانوا ينسبون البنات من بني آدم لله تعالى ، بل يزيده تأييداً  
كما أشرت إلى ذلك في مقال السابق . وذلك أن القسمة للضيزى  
التي أجروها في عالم الأرض ونسبوا فيها لله تعالى الإناث ولأنهم  
الذكور ، قد أجروا مثلها في عالم السماء ، فكانوا ينسبون لله تعالى  
من هذا العالم كل ما يعتقدون أنه من نوع الإناث . ومن أجل  
ذلك نسبوا إليه الملائكة لاعتقادهم أنهم من هذا النوع . ولذلك  
جاءت عقيدتهم بصدد الملائكة في معظم الآيات التي أوردناها  
في المقال السابق مصاحبة لعقيدتهم بصدد الأولاد من الآدميين .  
وذلك يدل على أنهما عقيدتان مرتبطتان كليهما بالأخرى ومترتبة  
عليها : « فاستفهم أربك البنات ولم البنون ؟ أم خلقنا الملائكة  
إناثاً وهم شاهدون ؟ » أفرايتم اللات والعزى ومناة الثلاثة  
الأخرى ، ألكم الذكر وله الأنثى ؟ تلك إذن قسمة ضيزى ...  
إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثى » .

حك استثنائياً بتفريغ حتى لإبراهيم الطويحي التاجر بالحليسة بالقضية ن  
٢٦٦٩ بجملة ٢٦ طبرس سنة ٤٤٠ جنيناه ليه بقولاً بزيه من التعميرة

(١) تراكب هذه الآيات تميم القصر كما لا يخفى على الأستاذ عبد السلام  
• أربك البنات ولم البنون • ، • ألكم الذكر وله الأنثى • ... الخ